الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

كلية أصول الدين

ومخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

ينظمان

الملتقى الوطني

# الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

## الجهود والمناهج والاتجاهات

يومي الثلاثاء والأربعاء 25–26 رجب 1445هـ / 06–07 فيفري 2024م

**بحث بعنوان:**

# "البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى مؤسِّس جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد الحميد بن باديس"

المحور الأول:

المناهج والاتجاهات العلمية في الدرس التفسيري والحديثي


للباحثة

**د. كريمة محمد سوداني**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البريد الإلكتروني: Karima.sudan@gmail.com

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على نبيه الكريم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الدين،

أما بعد،

فإنّ المقصد الأساس من إرسال الرسل والأنبياء هو هداية الناس إلى عبادة رب العالمين من خلال تعليمهم أحكام الشرع الحكيم، وما به نجاتهم وصلاحهم إلى يوم الدين، وهكذا جاءنا نبينا الكريم محمد صلوات ربي وسلامه عليه بالقرآن العظيم، وبينه لنا بأقواله وأفعاله، فكان خلقه القرآن كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها.

وإنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها رائد النهضة الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله لتكون منطلق التربية والتعليم على منهاج رسولنا الكريم ليست إلاّ عنوانا للنظر الثاقب للشيخ وزملائه من العلماء والمصلحين، لاسيما وقد تأسست والجزائر ترزح تحت نير استعمار بغيض، طال ليله، وزاد بطشه، وقويت غطرسته، لكن أعضاء الجمعية ومعهم مؤسسها استشرفوا بزوغ فجر جديد تنكسر فيه قيود الاستعباد والإذلال عن شعب تمتد أصوله وجذوره في عمق الأمة العربية والإسلامية.

ولقد كان اجتهاد الجمعية في فتح المدارس القرآنية وتعليم العلوم الإسلامية، وكتابة المقالات ونشر الصحف، إنما لبث الوعي بضرورة التسلح بالتربية والتعليم لأجل تخريج أجيال تؤمن بالتغيير، وتنطلق من أحكام الشريعة الإسلامية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فكانت الدروس التفسيرية والحديثية رافدا من روافد التثقيف والتنوير.

وعليه تأتي هذه المساهمة بعنوان:

**"البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى**

**مؤسِّس جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد الحميد بن باديس"**

للإجابة عن الإشكالية الآتية.

**إشكاليّة البحث:**

لا شكّ أنّ المرحلة التي تأسست فيها جمعية العلماء المسلمين كانت حرجة للغاية بسبب خضوع الجزائر آنذاك لنير الاستعمار الفرنسي البغيض، والذي حاول بكل الوسائل والسبل ضرب هوية الأمة الجزائرية واقتلاعها من جذورها العربية والإسلامية، وهو ما فطنت له هذه الجمعية المباركة، وعليه نطرح التساؤلات الآتية:

- ما هو البعد الاستشرافي وما أهميته؟
- كيف وظف مؤسس جمعية العلماء المسلمين الشيخ ابن باديس البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي؟
- ما هي تجليات إعمال البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس رحمه الله؟

وفيما يلي حديث عن أهمية الإجابة على هذه الأسئلة.

**أَهَمِّيَّةُ البحث:**

إنّ الحاجة إلى فهم تاريخنا المجيد، وسبر أغواره لهو من الأهمية بمكان؛ إذ أننا ننتمي إلى ذات الأمّة التي كسرت قيود الاستعمار، وانتصرت بفضل تمسكها بدينها على قوى الشر والطغيان، وعليه تبرز أهمية هذا البحث من خلال:

- دور البعد الاستشرافي في التخطيط لأي قفزة نوعية في أي مجال كان.
- إبراز مكانة الشيخ ابن باديس من حيث التخطيط والاستشراف.
- الاستفادة من منهج الشيخ الإمام ابن باديس في توظيف البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي.

وفيما يلي أهداف البحث.

**أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى:

- التعريف بالبعد الاستشرافي وأهميته.
- إبراز كيفية توظيف البعد الاستشرافي لدى مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ ابن باديس رحمه الله.
- بيان تجليات البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس رحمه الله.

**المنهج العلمي للبحث:**

اعتمدت لإنجاز هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع بعض مواضع استخدام الشيخ ابن باديس للبعد الاستشرافي في الدرس الحديثي، وما يتبع ذلك من توظيف التحليل والاستنتاج في مختلف مسائل البحث المعروضة في ثنايا خطة البحث.

**خطة البحث:**

وتشمل: المقدمة ومبحثين والخاتمة وفهرس المصادر والمراجع كما يلي:

**المقدمة.**

**المبحث الأول:**معنى البعد الاستشرافي وأهميته.

**أولا:** معنى الاستشراف لغة.

**ثانيا:** معنى الاستشراف اصطلاحا.

**ثالثا:** أهمية الاستشراف والتخطيط المستقبلي.

**المبحث الثاني:** توظيف البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس رحمه الله.

**أولا:** الدرس الحديثي لدى الإمام عبد الحميد بن باديس.

**ثانيا:** تجليات البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس.

**الخاتمة.**

**فهرس** المصادر والمراجع.

هذا، وأبدأ بتوفيق الله مع المبحث الأول.

## المبحث الأول: معنى البعد الاستشرافي وأهميته

الاستشراف مصطلح لهو من الأهمية بمكان في كل مجالات الحياة، لاسيما في عصرنا الحالي؛ ذلك أنّ الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي ميّزه الله بالعقل على سائر الكائنات، وعليه، فإنّه مدعو إلى الاهتمام بماضيه وحاضره ومستقبله، وكل ذلك له علاقة بالاستشراف، والذي أعرض من خلال هذا المبحث إلى معناه من حيث اللغة والاصطلاح، وصولا إلى تقرير معنى البعد الاستشرافي كما يلي.

### أولا: معنى الاستشراف لغة

أصل الاستشراف من الفعل الثلاثي شرف، قال في العين: "الشَّرفُ: ما أشرف من الأرض. والمُشْرَف: المكان تُشْرف عليه وتعلوه. ومشارِف الأرض، أعاليها... والشُّرفة: التي تشرف بها القصور، وجمعها: شُرفٌ. والشَّرفُ: الإشفاءُ على خطرٍ من خير أو شر، ويقال: هو على شرفٍ من كذا، وأشرف المريضُ، وأشفى على الموت. وساروا حتى إذا شارفوهم، أي: أشرفوا عليهم. واستشرفَ فلانٌ: رفع رأسه ينظر إلى شيءٍ... وقصر مشرفٌ، وكلُّ شيء طال فهو مشرفٌ... والشّارفُ: النّاقة المُسنّة... وسهمٌ شارف: طويلٌ دقيق، ويقال: هو الذي طال عهده بالصّيانة، فانتكث عقبهُ وريشُهُ... وقصر مُشَرَّفٌ، وكلُّ شيء طال فهو مُشَرَّفٌ... ومنكبٌ أشرف: فيه ارتفاع حسنٌ وهو نقيض الأهدأ. ورجل مشروف: شَرَف عليه غيره وشرفهُ. وشُرَيْفٌ: أطولُ جبلٍ في بلادِ العرب. وقيل: شريف: بلد ببلاد بني تميم، وفيه جبال"[1].

وفي التهذيب: "وشَرَفُ الْبَعير: سَنَامُه... شُرْفَةُ المال: خِيارُه، والجميع الشُّرَف. وَيُقال: إِنِّي أَعُدُّ إِتْيانَكُمْ شَرْفَة، أَي فَضْلاً وشَرَفاً أَتَشَرَّفُ بِه، وأَشْرافُ الإِنْسان: أُذُنَاه وأَنْفُه"[2].

وفي المعجم: "الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ. فَالشَّرَفُ: الْعُلُوُّ. وَالشَّرِيفُ: الرَّجُلُ الْعَالِي... وَالمُسْتَشْرِفُ مِنَ الْخَيْلِ: الْعَظِيمُ الطَّوِيلُ... فَأَمَّا النَّاقَةُ الشَّارِفُ فَهِيَ المُسِنَّةُ الْهَرِمَةُ مِنَ الْإِبِلِ، وَهَذَا مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي السِّنِّ"[3].

وفي الصحاح: "الشَرَفُ: العلوُّ، والمكان العالي. قال الشاعر:

آتي النّدِيَّ فلا يُقَرَّبُ مَجْلِسي  وأَقودُ للشرفِ الرفيعِ حِماري

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين (كتاب)، 6/252-253.

(2) محمد بن أحمد الأزهري،تهذيب اللغة،11/234-236.

(3) أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة،3/263-264.

يقول: إنّي خَرِفْتُ فلا يُنتفع برأيي، وكبِرتُ فلا أستطيع أن أركب من الأرض حماري إلا من مكان عالٍ، وجبل مُشْرِفٌ: عالٍ"[1].

وذكر في اللسان من المعاني: "واسْتَشْرَفَ إبلَهم: تَعَيَّنَها ليُصِيبها بِالْعَيْنِ"[2].

وذكر في القاموس من معاني الشرف أيضا:

"والشَّوْطُ، أو نحو مِيلٍ... وشَرَفَهُ، كنَصَرَهُ: غَلَبَهُ شَرَفاً، أو طالَهُ في الحَسَبِ... وعليه: اطَّلَعَ من فَوْقُ... والشيءَ: رَفَعَ بَصَرَهُ إليه، وبَسَطَ كَفَّهُ فَوْقَ حاجِبِهِ كالمُسْتَظِلِّ من الشَّمْسِ"[3].

وتلخيص ما سبق، أنّ جلّ معاني الشرف تدور حول: العلُوّ، والمكانة الرفيعة، والنظر إلى بعيد، والطّول بإطلاق (فيشمل مثلا: المكان، القامة، النظر، المسافة)، والارتفاع، والأفضلية، والأَخْير، وطول العمر، والفَضل، والبارز، والظاهر، والاطّلاع والتطلّع من فوق، ورفع البصر.

وهي معان تقود إلى أنّ الاستشراف على وزن "استفعال" هو طلب استباقي لاستطلاع شيء ما مكانيا، أو حدث ما سيكون في المستقبل زمانيا.

والملاحظ أنّ هذه اللفظة لم يرد شيء منها في كتاب الله العزيز، لكن وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة تعزز ما سبق من المعاني، ومن أمثلتها:

قوله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن في ارتكاب الكبائر: «وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ فِيهَا حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[4]، قال في النهاية: "ذاتَ قَدْر وقِيمة وَرِفْعَةٍ، يَرْفعُ النَّاسُ أبصارَهُم للنَّظر إِلَيْهَا، ويَسْتَشْرِفُونَهَا"[5].

---

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،1379/4-1380.

(2) ابن منظور،لسان العرب،173/9.

(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص823-824.

(4) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري بهذا الفظ في:الأشربة، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،104/7 (5578)، ومسلم: الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، 76/1 (57).

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 461/2.

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:«كَانَ أَبُو طَلْحَةَ حَسَنَ الرَّمْيِ، فَكَانَ إِذَا رَمَى تَشَرَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ نَبْلِهِ»[1].وورد بلفظ: "أَشْرَفَ، يُشْرِفُ، يَتَشَرَّفُ" أَيْ:"يُحَقَّق نَظَرَهُ ويطَّلِع عَلَيْهِ"[2].

وعن عمر رضي الله عنه في تمنعه من أخذ العطاء، قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»[3]، قال ابن الأثير: "أَرَادَ مَا جاءَك مِنْهُ وأنتَ غيرُ مُتَطَلِّعٍ إِلَيْهِ وَلَا طَامِعٍ فِيهِ"[4].

ثم تحدّث ابن الأثير عن أَصْل الِاسْتِشْرَاف، قال: "أَنْ تضَع يدَك عَلَى حاجِبك وَتَنْظُرَ، كَالَّذِي يستَظِلُّ مِنَ الشَّمْسِ حَتَّى يَستَبين الشَّيْءَ. وأصلُه مِنَ الشَّرَفِ: العُلُوّ، كَأَنَّهُ ينظرُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ مُرْتَفِع فَيَكُونُ أَكْثَرَ لإدراكه"[5].

وهو أقرب ما يكون إلى المعنى الاصطلاحي للاستشراف.

**ثانيا: معنى الاستشراف اصطلاحا**

يمكن تعريف الاستشراف باعتباره لفظة مفردة، أو مفهوما مركبا بإضافة لفظة المستقبل غالبا:

**فمن تعريفات النوع الأول:**

-"يدل على سلوك يتطلب معرفة ومهارة، ويستلزم عزيمة وإرادة، ويهدف إلى جلب خير أو دفع ضرر، عبر أنشطة ذهنية معينة"[6].

---

(1) البخاري في مواضع منها: الجهاد والسير، بَابُ المِجَنِّ وَمَنْ يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ، 38/4 (2902).

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 462/2.

(3) متفق عليه، البخاري في موضعين، أولهما: الزكاة، بَابُ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلاَ إِشْرَافِ نَفْسٍ، 123/2 (1473)، ومسلم: الزكاة، بَابُ إِبَاحَةِ الْأَخْذِ لِمَنْ أُعْطِيَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ، 723/2(1045).

(4) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث،462/2. وذكر أيضا من الأحاديث: «لَا تَتَشَرَّفُوا للبْلاءِ»، ولم أجد له تخريجا، قال:"أَيْ لَا تَتطلَّعوا إليه وتَتوقَّعُوه". النهاية، 463/2.

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث،463/2.

(6) أحمد ذوقان الهنداوي وآخران، استشراف المستقبل وصناعته، ص23.

-"مجموعة من الأنشطة التي تعمل على تحسين عملية صنع القرار، ويكمن الهدف الأساس من الاستشراف في أن تغدو في موقف أقوى في المستقبل، في حالة من الاستعداد لطائفة من الاحتمالات"[1].

**أما استشراف المستقبل:**

فقد ذكروا تعريفات عديدة، منها:

-"عملية منهجية تشاركية، تقوم على جمع المعلومات المستقبلية ووضع رؤى متوسطة وطويلة الأجل، تهدف إلى اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ في الوقت الحاضر"[2].

-"هو العلم الخاص بعملية التنبؤ بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتوقع حدوثها في المستقبل القريب. ويُستند في دراسة علم الاستشراف على الاستقراء والاستنباط، وجمع الوقائع الفردية المتعددة واستخلاص المبادئ العامة التي تحكمها، والخروج بعد ذلك بالصور التي سيكون عليها المجتمع في الأجيال القادمة"[3].

-"جهد استطلاعي الأساس، يتسع لرؤى مستقبلية متباينة، ويسعى لاكتشاف وتكشف العلاقات المستقبلية بين الأشياء والنظم والأنساق الكلية والفرعية في عالم ينمو"[4].

من خلال ما سبق، يتضح أنّ الاستشراف ينطلق من الحاضر بدراسة المعطيات الواقعية، وما يمكن أن ينجم عنها من احتمالات مستقبلية، ودراسة تلك الاحتمالات للوصول إلى تخيّر الاحتمال الأقرب إلى رؤية وإرادة المُستشرِف في مجال من المجالات.

**وعليه، يمكن القول إن المقصود بالبعد الاستشرافي هو:**

"ذلك الملمح في التعامل مع قضية أو عدة قضايا، من خلال استقراء مختلف الاحتمالات المستقبلية، وتخيّر أحد تلك الاحتمالات، ما يتّفق مع رؤية المُستشرِف، والمُستشرَف له".

فالاستشراف ليس تنبؤا بالمستقبل، ولا رجما بالغيب، وإنما هو توقع لما يمكن أن يحدث، وفق أسس علمية ودراسات منهجية، ومن ثمّ تفادي أخطاء الماضي، وحسن اختيار قرارات المستقبل.

---

(1) https://pgsr.mans.edu.eg/about-musg/current-news/foresight-for-emerging-technologies

(2) أحمد ذوقان الهنداوي وآخران، استشراف المستقبل وصناعته، ص23.

(3) منال أحمد البارودي، علم استشراف المستقبل، ص21.

(4) ln.run/DwU8P

ومما يعزز الاستشراف: التخطيط المستقبلي، فهما يكملان بعضهما البعض؛ من حيث إن الاستشراف: دراسة لمختلف الاحتمالات، والتخطيط: هو تخير لأحد تلك الاحتمالات، أو وضع بدائل وأهداف مسبقة، والسعي إلى تحقيقها بالوسائل المتاحة.

**ثالثا: أهمية الاستشراف والتخطيط المستقبلي**

إنّ استشراف المستقبل في مفهومه الواسع هدف مركوز في فطرة الإنسان؛ إذ لطالما سعى إلى معرفة الغيب؛ لتفادي ما يضره، واستجلاب ما ينفعه، ولازال هذا المطلب هدف الأفراد والمجتمعات والدول والحكومات، لاسيما في عصرنا الحالي، وصولا إلى ما يسمى بالذكاء الاصطناعي، الذي هو في حقيقته تزويد للآلة بمختلف التنبؤات والاحتمالات.

ولذا يمكن أن نجمل أهمية الاستشراف والتخطيط المستقبلي في النقاط الآتية:

-الإسهام في تطوير الذات وبناء المجتمعات وصناعة الحضارة بعيدا عن أخطاء الماضي وإخفاقات الحاضر.

-محاولة بناء صورة مستقبلية واضحة على أساس من الدراسات العلمية الواعية.

-اختصار الإطار الزمني لما قد يُتخذ من قرارات مستقبلية.

-تفادي الوقوع في الأخطاء وتكرارها.

-الاستعداد العلمي المتزن للاحتمالات الممكنة.

كان هذا مبحثا بين يدي دراسة البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس، وهو موضوع المبحث الثاني.

## المبحث الثاني

## توظيف البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس رحمه الله

إن المرحلة التاريخية التي تأسست فيها جمعية العلماء المسلمين وهي سنة 1931م كانت تفرض تحديات خطيرة بالنظر إلى أنّ الشعب الجزائري كان يرزح تحت نير استعمار غاشم، اعتبر الجزائر امتدادا طبيعيا لبلده فرنسا، ولذلك فليس من المبالغة القول إنّ ظهور هذه الجمعية في حد ذاته يُعدّ استشرافا للمستقبل، بالنظر إلى

أنّ فرنسا حاولت بكل ما أوتيت طمس الهوية الجزائرية، ومحو قيم امتدادها العربي والإسلامي، ولذلك فإنّ مختلف الأنشطة التي اعتنت الجمعية بإبرازها هي في سياق الحفاظ على مبادئ الأمة الجزائرية الممتدة عبر التاريخ.

وفي هذا المبحث سأتطرق إلى معنى الدرس الحديثي لدى الإمام عبد الحميد بن باديس، وتجليات البعد الاستشرافي من خلاله، فهذان عنصران:

**أولا**: الدرس الحديثي لدى الإمام عبد الحميد بن باديس.

**ثانيا**: تجليات البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس.

## أولا: الدرس الحديثي لدى الإمام عبد الحميد بن باديس

الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وبهذه المكانة الروحية المغروزة في وعي الأمة الإسلامية، كان محور اهتمام العلماء قديما وحديثا، جمعا وترتيبا، تمحيصا وتدقيقا، ولم يتخلف علماء الجزائر في هذا الصدد عن إخوانهم في مشارق العالمي الإسلامي ومغاربه، يقول مؤرخ الجزائر أبو القاسم سعد الله رحمه الله: "من العلوم التي أنتج فيها الجزائريون: علم الحديث ومصطلحه؛ فقد اعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة، ولا شك أن ذلك يعود إلى صلة علم الحديث بالدين وبالتصوف معا، كما يعود إلى كون علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ، وهم حفاظ مهرة حتى اشتهروا بذلك منذ القديم"[1].

لم تكن هذه المكانة للحديث النبوي الشريف لتخفى على مؤسس جمعية العلماء المسلمين الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، ولذلك عكف على دراسة السنة النبوية المشرفة وتدريسها، وهو الملحظ المستخلص من إتباعه لختم تفسير القرآن الكريم بختم شرح موطّأ الإمام مالك رحمه الله وذلك سنة 1358هـ الموافق لسنة 1939م، معلنا بذلك ألا نجاة للأمة الجزائرية إلا بالرجوع إلى كتاب ربها وسنة نبيها، وهو ما شهد به أحد تلاميذ الجمعية الأستاذ عبد الرحمن شيبان، حيث قال: "وقد كان لهذه الدروس الشفوية والكتابية، أثر بالغ في نفوس المستضيئين بها، في تلك الحقبة المظلمة، سواء من كان يحضر دروسه التعليمية، من طلبته النظاميين، وطلاب المعرفة الإسلامية، أو من كان يتابعها في افتتاحيات مجلة الشهاب الشهرية، فكانت بحق الشرارة الأولى التي فجرت النهضة الإصلاحية الحديثة في الجزائر"[2].

---

(1) أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، 25/2.

(2) مقدمة كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير للإمام عبد الحميد بن باديس، ص10.

فقد اعتنى إذن الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله بشرح سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتبليغ هداها إلى مختلف أطياف الشعب الجزائري آنذاك، من خلال دروسه في مسجده الجامع الأخضر في قسنطينة، ومختلف المقالات التي كان ينشرها في مجلته الشهاب أو البصائر أو السُّنَّة؛ لأنه أدرك ببصيرته ألا مخرج للجزائر من ظلام الاستدمار الدامس إلاّ بالعودة إلى أصول ثقافتنا الإسلامية من كتاب وسنة، مستشرفا بذلك مستقبلا مشرقا تنكسر فيه قيود الجلاد عن كاهل الشعب الجزائري، لا سيما وأنّ الاستشراف المستقبلي قد جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ففي القرآن الكريم حديث عن الإيمان بالله تعالى وتقديم العمل الصالح كأسباب لصلاح العيش في الحال والمآل، كما في دعوة نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (4)﴾[نوح: 02-04]، وقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (12)﴾ [نوح: 10-12]، وهو استشراف لعمري موجه ومنطقي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وكذلك هي كثيرة الأحاديث النبوية التي تضمنت إشارات لاستشراف المستقبل، منها حديث الراية، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[1].

فهذا الحديث أصل عظيم في مشروعية الاستشراف المستقبلي من خلال: **أولا**: تشوّف الصحابة رضوان الله عليهم في أن يكون كل واحد منهم صاحب بشارة النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه فكل يحسن الظن بنفسه، **وثانيا**: ما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وأنه يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وهي المقدمة لما يستحق من الفتح على يديه.

إذن، فمؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أدرك هذا البعد الاستشرافي في درسه الحديثي، وأنّه يخدم مستقبل شباب الأمة الجزائرية، وما ينتظرهم من إحراز النصر على

(1) البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه في مواضع منها: الجهاد والسير، بَابُ فضل من أسلم على يديه رجل، 60/4 (3009).

عدوهم المستدمر الفرنسي البغيض، وهذا بالنظر إلى الامتداد التاريخي للأمة الجزائرية، وأيضا الأساس الصحيح في إشعال ثورتها على الظلم والاستبداد والطغيان.

ويعدّ كتاب "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، وهو مجموعة دروس ومقالات للشيخ عبد الحميد بن باديس، اعتنى من خلالها بشرح سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم واستخلاص الدروس والعبر ومختلف التوجيهات والإرشادات، أهم مصدر يمكن من خلاله رصد البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، وذلك من خلال المنهج العلمي الرصين الذي اعتمده في دراسته لأحاديث النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، والمتمثل في جملة من النقاط، وهي[1]:

1. تمهيد أو توطئة يهيئ فيها لموضوع الحديث النبوي الشريف.
2. السند: يتحدث فيه عن رجال الحديث ومرتبته.
3. المتن: ويعرض فيه إلى جملة من العناصر تتمثل في:

- شرح ألفاظ الحديث وإيراد مختلف رواياته، وما يتصل بذلك من اللغة والبيان.
- إيراد المعنى العام.
- الاستنباطات والفوائد والأحكام المستخلصة نفسيا وأخلاقيا واجتماعيا وتاريخيا وكونيا، وعلاقة ذلك بواقع الجزائر والأمة الإسلامية والإنسانية في ذلك الوقت، على غرار منهجه في تفسير القرآن الكريم.

وفيما يلي حديث عن العنصر الثاني من هذا المبحث.

**ثانيا: تجليات البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ ابن باديس رحمه الله**

سبقت الإشارة إلى أنّ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو تجسيد عملي للبعد الاستشرافي، ذلك أن ليل الاستدمار الفرنسي الطويل لم يكن لينقشع من دون تهيئة الظروف المناسبة لذلك، وفي مقدمتها تنشئة الجيل الذهبي الذي سيتولى كنس هذا المستدمر من أرضنا الطيبة، ولذلك كان النشاط الأساس لأعضاء الجمعية هو التربية والتعليم، من خلال فتح المدارس بمختلف المستويات، وكذا دروس المساجد والمجلات والكشافة الإسلامية.

وبالنظر إلى دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله الحديثية، يمكن الحديث عن تجليات البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي من خلال النقاط الآتية:

(1) انظر: مقدمة كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير لعبد الرحمن شيبان، ص22-23.

**أولا: انتقاء الأحاديث النبوية الشريفة**

درج الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس على تخيّر الأحاديث النبوية التي يبدأ بها مقالاته في الصحف أو يفتتح بها دروسه في مسجده الجامع الأخضر في قسنطينة، والتي يُلمح في كثير منها البعد الاستشرافي الذي كان يقصده الشيخ الإمام، ومن الأمثلة على ذلك[1]:

-حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِنَ الأنْبِياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ من الآيات ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ»[2]، فهذا الحديث النبوي الشريف يستغرق الماضي والحاضر والمستقبل، وهو يتحدّث عن معجزات الأنبياء في كل زمان ومكان، انتهاء بالمعجزة العقلية الخالدة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، يقول الشيخ الإمام بعد حديثه عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية: "غير أن آيته الخالدة العامة الدائمة كعموم رسالته ودوامها هي: القرآن العظيم، وهو الوحي الذى أوحاه الله إليه، فهي المعول عليها في دوام الحجة على تعاقب العصور والأجيال، إذ لا يقوم غيرها مقامها في بقائها مشاهدة لجميع الناس"[3]. وليس هذا إلا استشرافا للمستقبل، وأنّه مهما تعالت صيحات الباطل والزيغ والضلال، فإنّ القرآن الكريم سيظل المرجع والمعول عليه في كل ما يحدث، وسيظل المهيمن على كل ما سبقه من الكتب السماوية بنصّ الحديث النبوي الشريف.

ثم يضيف الشيخ الإمام إلى ما سبق فيقول: "لما بقيت هذه الآية الكبرى على العصور، وانبنت على الاحتجاج بالعلم والعقل، كان لها في كل عصر أتباعها الكثيرون عن اقتناع واطمئنان، ويزداد ويكثر عددهم بتوالي الأزمان، يكثر الداخلون فيهم بقدر ما يزداد تقدم البشر في العلم العرفان، وقد شوهد هذا اليوم وقبل اليوم، ونحن نرى في هذا العصر كيف ينتشر الإسلام تباعا لهذه الآية بين الأمم وفي علمائها دون نشر للدعوة من المسلمين تبيّنها، ولا قوة لهم تؤيدها، وإنما بما فيه من علم وحجة وأدب وحكمة تخضع العقول وتجذب القلوب، ولهذا فرع النبي صلى الله عليه وسلم على كون آيته وحيا، رجاء أن يكون أكثر الأنبياء اتباعا يوم القيامة الذي تظهر فيه

---

(1) كل الأحاديث النبوية الشريفة التي سأوردها إنما نقلا حرفيا من كتاب مجالس التذكير، وسأشير في الهامش إن كان هناك اختلاف في ألفاظها مع ألفاظ من عزاها إليهم الإمام ابن باديس رحمه الله.

(2) هو أول حديث في كتاب مجالس التذكير، ص33، وهو متفق عليه: البخاري في موضعين: فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ: كَيْفَ نَزَلَ الوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ، 182/6 (4981)، والاِعْتِصَام بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، 92/9 (7274)، ومسلم: الإيمان، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، 134/1 (152). وهناك اختلاف طفيف بين اللفظ الذي أورده الإمام ابن باديس مع لفظ الشيخين.

(3) مجالس التذكير، ص34.

التابعية الصادقة فقال: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»"[1]اهـ. ولعمري كأنه يعيش بيننا اليوم، ونحن نسمع عن دخول الناس في دين الإسلام نظير ما يجدون في القرآن الكريم من دلائل الإعجاز وأنه وحي من رب العالمين.

ثم يختم الشيخ الإمام شرحه لهذا الحديث النبوي الشريف بلفت نظر الدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان إلى الائتساء برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في نشر القرآن الكريم؛ لنكون أكثر الناس أجرا باستجابة المبلَّغين، حيث يقول: "كل داع له من الأجر مثل أجور من اتبعه على دعوته، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، فرجا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثرة أتباعهم؛ إذ في ذلك انتشار الهداية، وكان صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على هداية الناس، وفى ذلك مضاعفة أجره وجزائه عند الله، فلنا فيه الأسوة الحسنة بالحرص على نشر هدايته، وتبليغ دعوته، ورجاء كثرة الأجر والثواب بكثرة ما توفر من أتباعه، فليعمل العاملون لهذا وليجتهدوا فيه"[2]، وهي دعوة باقية بقاء الرسالة المحمدية، وخلود المعجزة القرآنية[3].

**ثانيا: الحثّ على الاتباع دون الابتداع**

لا شك أنّ اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم هو وقاية من أي ابتداع في الدين، في العاجل والآجل، والإسلام على امتداد العصور قد تعرّض إلى إلحاق به ما ليس منه، إما جهلا، وإما كيدا، وأعداء الإسلام والمسلمين يسرّهم أن يحيد أتباع هذا الدين عن الصراط المستقيم، وعن الحنيفية السمحة التي دعا إليها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فما بالك بالاستدمار الفرنسي البغيض الذي عمل على نشر كل بدعة وكل ما لا علاقة له بالدين، فقد كان يعلم يقينا أنه يكفيه لبسط سيطرته على العباد والبلاد أن يخرجهم من الدين الصحيح، وأن يشوه صورته في أذهان أتباعه.

وجمعية العلماء المسلمين إنما تأسست لإفساد مخطط هذا العدو المجرم، وقطع الطريق أمامه، فلا يصل إلى مبتغاه، ويظهر ذلك جليا عندما نجد الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس يصدر صحيفة بعنوان "السُّنَّة"، وفي ذلك إشارة إلى أنّ النجاة اليوم وغدا هي في الاعتصام بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، هذه الأخيرة التي هي شرح وبيان للقرآن، وليس هذا إلا استشرافا لما ستؤول إليه الأحداث، وأنّ طريق التحرّر من الاستدمار يمر

(1) مجالس التذكير، ص35.

(2) مجالس التذكير، ص36.

(3) ينظر ضمن هذا العنصر أيضا: شرحه لحديث «إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ».مجالس التذكير، ص78.

بالتمسك بدين الله تعالى قرآنا وسنة، فالقرآن محفوظ بحفظ الله العزيز الوهاب، وأما السنة فقد حفظت في المدونات، وقام لها الأئمة ذبا عنها تصحيحا وتنقيحا، قبولا وردا.

وفي هذا السياق أورد الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس عدة أحاديث في التمسك بالسنة واجتناب البدع، تحت عنوان: "السنة والبدعة"، منها حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، الذي جاء فيه: "وإنَّهُ مَن يعِشْ منْكم فسيَرى اختِلافًا كثيرًا، فعليكُم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ المهديّينَ، عضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[1].

ومثله إيراده لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: "إِنَّ أفضل الهدي هُدْي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[2].

وبقريب مما سبق، العنصر الموالي.

**ثالثا: نبذ الشعوذة والخرافات**

لعلّ أكثر ما ركز عليه الاستدمار الفرنسي لمحاربة الوعي الشعبي بالعودة إلى انتمائه العربي الإسلامي، وتمسكه بتعاليم دينه الحنيف، هو محاولة تشويه هذا الدين، واستغلال بعض من ينتسبون إليه في نشر الخرافات وكل ما يمكن أن يستفيد منه في تمرير أكاذيبه واختلاقاته بأنه القدر المحتوم لهذا الشعب، وفي سبيل تحقيق ذلك، شجع نشر الشعوذة من زيارة القبور والتبرك بها، وترك الأسباب الدنيوية.

وقد تفطن شيخنا الإمام عبد الحميد بن باديس إلى خطورة انتشار مثل تلك الآفات، لاسيما ما تعلّق منها بالعقيدة، فنجده تناول باستفاضة موضوع بناء القبور على المساجد، وما يؤدي إليه من ترك الأسباب الدنيوية، وهذا من الاستشراف بالقعود عن طلب العزة والكرامة، والجهاد الذي حثنا عليه الإسلام في مدافعة المحتل للأرض، المنتهك للعرض، فقد أورد حديث عائشة رضي الله عنها "أنّ أم حبيبة وأم سلمة رضي الله تعالى عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "إِنَّ أُولئِكَ

---

(1) مجالس التذكير، ص188 عن صحيفة السنة. والحديث أخرجه بلفظ قريب منه: أبو داود: السُّنَّةِ، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، 200/4 (4607)، والترمذي: أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، 44/5 (2676). قال الترمذي: "حَسَنٌ صَحِيحٌ".

(2) مجالس التذكير، ص188 عن صحيفة السنة. والحديث أخرجه الإمام مسلم بلفظ: "وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ". مسلم: الْجُمُعَة، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، 592/2(867).

إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا عَلى قبره مسجدا، وصوّروا فيه تلك الصُّوَرَ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[1].

يقول الشيخ الإمام بعد شرحه لمنطوق الحديث: "وذلك لأن القبر المعظّم ببناء المسجد عليه، والصورة المعظّمة لتمثيلها ذلك الصالح، يصيران مما يعبد ويعتقد فيه النفع والضر، والعطاء والمنع، فيدعى ويسأل، وتطلب منه الحوائج، وتخشع عنده القلوب، وتنذر له النذور، وهذه من العبادة التي لا تكون إلا لله"[2]. ولا يخفى أن مضاهاة الله تعالى علوا كبيرا في العبودية يعني تضييع الأحكام الشرعية، والركون إلى المسترزقين والمتعيشين باسم الدين، لاسيما من كان منهم متواطئا مع المستدمر البغيض.

ويظهر البعد الاستشرافي جليا لدى الشيخ الإمام في هذا الموضع عند ردّه على من يزعم أن المساجد التي بنيت على القبور إنما للتبرك بأصحاب تلك القبور لا لعبادتهم، بقوله رحمه الله: "وذلك لأنها وإن لم تؤد إلى عبادة المخلوق في الحال، فإنها في مظنة أن تؤدي إلى ذلك في المآل، وذرائع الفساد تسد، لاسيما ذريعة الشرك ودعاء غير الله التي تهدم صروح التوحيد"[3].

**رابعا: تعليم المرأة**

لقد شغل موضوع المرأة حيزا واسعا من الدروس الحديثية للشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، لاسيما ما تعلق منها بتعليمها، ذلك أنّ البيئة الجزائرية إبان الاستدمار الفرنسي البغيض لم تكن تشجع على تعليم المرأة إلا في القليل، وربما اقتصر تعليمها على تحفيظها بعض سور القرآن الكريم وما يقترن به من القراءة والكتابة، والذي غالبا ما يكون في مرحلة الطفولة.

وقد تفطّن الشيخ الإمام إلى أهمية تعليم المرأة في بعد استشرافي واضح؛ إذ هي ركن ركين في الأسرة وما يتخرّج منها من أجيال، والتي ستفجر بعد سنوات قليلة ثورة التحرير الكبرى، فنجده رحمه الله تحدّث ابتداء عن حق المرأة في التعليم بإيراد حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "قالتِ النِّسَاءُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِن نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ، فَكانَ فِيما قَالَ

(1) متفق عليه، البخاري في مواضع، منها: الصلاة، بَابٌ: هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ، 93/1 (427)، ومسلم: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، 375/1(528).

(2) مجالس التذكير، ص150.

(3) مجالس التذكير، ص151. وانظر ما جاء في بقية الأحاديث التي أوردها الشيخ الإمام في هذا الموضوع من المجالس، ص152-156.

لهنَّ: ما مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِن ولَدِهَا، إِلَّا كانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقالتِ امْرَأَةٌ: واثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: واثْنَتَيْنِ"[1].

فبعد أن شرح الشيخ الإمام لفظ الحديث ذكر أنّ من حكمه وفوائده: "النساء شقائق الرجال في التكليف، فمن الواجب تعليمهن وتعلمهن، وقد علمهن صلى الله عليه وسلم وأقرهن على طلب التعلم، واعتزّ بهن، وتفقّدهن"[2].

وهكذا تطرّق إلى موضوع تعليم النساء الكتابة[3]، وبعد أن ذكر حديث الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: "دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: «أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ»[4]، أشار إلى أهمية الكتابة، ودورها في الحاضر والمستقبل في تدوين ونشر العلوم، فقال: "علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا، في رجالنا ونسائنا، على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء، وثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولة، وبذلك نستحق أن نتبوأ منزلتنا اللائقة بنا، والتي كانت لنا بين الأمم"[5].

**خامسا: ربط الأحاديث الشريفة بالواقع المعيش**

إنّ الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس ما نفر في قومه وبني جلدته إلا ليمارس دوره في إصلاح المجتمع، وتنقيته من شوائب الجهل والبدع والضلالة، فلا غرو أن أسس جمعية العلماء المسلمين ابتداء لتقوم بهذا الدور الريادي في ذلك الوقت الذي ساده كثير من الزيغ والبعد عن الصراط المستقيم، وقد كان الدرس الحديثي للشيخ الإمام خير وسيلة للتنبيه على العادات السيئة التي سادت في المجتمع الجزائري آنذاك، والدعوة إلى استبداله بما أمر به الشرع الحكيم، في بعد استشرافي جليّ، يدل على مكانة الإمام عبد الحميد بن باديس وإحاطته بواقعه المعيش.

فمن أمثلة ذلك ما أورده في شرح حديث سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ عَبْدَ اللهَ بْنَ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ

(1) البخاري: العلم، بَابٌ: هَلْ يُجْعَلُ لِلنِّسَاءِ يَوْمٌ عَلَى حِدَةٍ فِي العِلْمِ؟32/1 (101).

(2) مجالس التذكير، ص158.

(3) انظر: مجالس التذكير، ص159.

(4) أبو داود: الطب، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى، 11/4 (3887)، ومسند أحمد، 43/44 (26448).

(5) مجالس التذكير، ص161.

إِلَيْهَا». قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ!"[1].

قال الشيخ الإمام: "هذا الذي وقع من بلال كثيرا ما يقع مثله أو نحوه من أهل الجهل والبدعة الذين شبوا عليهما وشاخوا، حتى صارت البدعة عندهم سنة والسنة بدعة، فإذا ذكرتَ لهم الحكم الشرعي بدليله من الكتاب والسنة، صدّوا ونفروا وأبوا واستكبروا، وصارحوا بالمخالفة، أو سكتوا وأضمروا الخلاف، وما هذا شأن المؤمنين"[2].

وفي حديث بناء المساجد على القبور السابق الذكر يقول الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس مستنكرا ما عايشه من واقع مخالف لتعاليم الكتاب والسنة: "هذه هي حالتنا اليوم معشر مسلمي الجزائر، وأحسب غيرنا مثلنا؛ تجد أكثر أو كثيرا من مساجدنا مبنية على القبور المنسوب أصحابها إلى الصلاح، ومنهم من كانوا معروفين بذلك ومنهم المجهولون"[3].

كما تطرق الشيخ الإمام في مقال له بعنوان "الشِّرْكُ وَالْوَثَنِيَّةُ وَدَعْوَى النُّبُوَّةِ" إلى حديث ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[4]، وبعد إيراده لشرح الحديث قال: "وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تتوجه لبعض الأموات، وتتضرع لهم وتقف أمام قبورهم بخضوع وخشوع تامّين، وتتضرع وتناديهم، على اعتقاد أنهم يقربونها إلى الله، ويتوسطون لها إليه، ويزيدون أنهم يتصرفون لها بقضاء الحوائج، وجلب الرغائب، ودفع المصائب"[5].

وهذا الذي عابه الشيخ على أهل زمانه وبيئته هو تماما ما كان يطمح إليه الاستدمار الفرنسي من إشغال الناس عن الأخذ بالأسباب والسعي الحثيث لتحقيق المرادات بالطواف بالقبور والاستغاثة بالأموات، فيُحكم

---

(1) مسلم: الصلاة، بَابُ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ، وَأَنَّهَا لَا تَخْرُجُ مُطَيَّبَةً، 327/1 (442).

(2) مجالس التذكير، ص177.

(3) مجالس التذكير، ص150.

(4) أبو داود: الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، بَابُ ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَائِلِهَا، 97/4 (4252)، والترمذي: أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ، 499/4 (2219)، وقال: "صحيح"، ومسند أحمد، 43/44 (26448)،

(5) مجالس التذكير، ص96.

الجهل والخرافة السيطرة على العقول والنفوس فلا تنتفض لتغيير الواقع المزري الذي كان يقبع فيه عموم الشعب الجزائري.

**سادسا: تناول البعد الإصلاحي للأحاديث الشريفة**

عُرف الشيخ عبد الحميد بن باديس بالإمام المصلح، بل هو رائد الإصلاح في الجزائر في التاريخ الحديث، فقد كان معظم نشاطه يتركز حول الإصلاح، ولذلك عمد إلى تفسير القرآن الكريم وشرح أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ يستلهم منهما الطريق الصحيح في إصلاح المجتمع، كما أسس جمعية العلماء المسلمين؛ ليكون نشاطها ممتدّا إلى مختلف ربوع الوطن، وعليه، استشراف نهضة شاملة، تكنس الاحتلال الفرنسي عن ترابه.

وهذا ما نجده جليا من خلال العناوين الفرعية التي كان يعقدها لدروسه الحديثية، من مثل: تبصّر، تفقه،سلوك، امتثال وتطبيق...، وهو في كل ذلك يهدف إلى إيقاظ الهمم، وإشعال جذوة التغيير في الأنفس وفي المجتمع، والأمثلة على ذلك عديدة متنوعة، كما في شرحه لحديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[1]، يقول الشيخ الإمام مخاطبا القارئ في لفتة تبصّر: "ألا ترى البنيان كيف يتركب من الحجارة الكبيرة، والحجارة الصغيرة والمواد الأخرى التي تلحم بها الحجارة وتكسى، وكل ذلك محتاج إليه في تشييد البنيان، فكذلك بنيان المؤمنين فإنه متكون من جميع أفرادهم، على اختلاف طبقاتهم، فالكبير والجليل له مكانه، والصغير والحقير له مكانه، وعلى كل واحد أن يسد الثغرة التي من ناحيته، مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التي لا غناء لها عنه، كما لا غناء له عن كل واحد منها"[2].

كما أن الشيخ الإمام دائم التواصل مع من حوله، يدعوهم إلى الخير، وما به تنصلح أنفسهم وأمّتهم، ومن ذلك ما أورده في حديث «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[3]، في حادثة جمعته بثلاثة شبان من المتعلمين التعليم الأوروبي، والمتأدبين الأدب الإفرنجي على حسب تعبيره، حيث ناقش معهم مقومات احترام الأمم، وأنها تتلخص في احترام كل أمة لجنسها ولغتها ودينها وتاريخها، وبغير ذلك لا ينظر لأفرادها مهما بلغوا إلا بما ينظر به إليها، وقد زالت عنهم الغفلة وأخذوا

---

(1) متفق عليه: البخاري في مواضع منها: المظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ نَصْرِ المَظْلُومِ، 129/3 (2446)، ومسلم: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، 1999/4 (2585). ولفظ مسلم ليس فيه تشبيك الأصابع كما أشار إلى ذلك الشيخ الإمام.

(2) مجالس التذكير، ص100.

(3) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: البخاري في مواضع منها: الأدب، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، 10/8 (6011)، ومسلم: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، 1999/4 (2586).

يقصون عليه ما تعرضوا له من الإهانة والاحتقار من قبل الأوربيين، حينها دعاهم إلى القيام بدورهم في الصلاح والإصلاح، فقال: "واليوم –وقد تجلت لكم الحقيقة علميا وعمليا– عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنشلوها مما هي فيه بما عندكم من علم، وما اكتسبتم من خبرة، محافظين لها على مقوماتها، سائرين بها في موكب المدنية الحقة بين الأمم، وبهذا تخدمون أنفسكم وتخدمون الإنسانية بإنهاض أمة عظيمة تاريخية من أممها، ثم لا يمنع هذا من أخذ العلم عن كل أمة و بأي لسان، واقتباس كل ما هو حسن مما عند غيرنا، ومد اليد إلى كل من يريد التعاون على الخير والسعادة والسلام"[1].

كانت هذه مجمل تجليات البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ الإمام المؤسس عبد الحميد بن باديس رحمه الله، حاولت من خلالها إبراز هذا البعد المنهجي الأساس في فكر هذا العالم الجليل، في سياق نشاطه العلمي الثري، بما أكسبه المكانة المتميزة في إصلاح الأمة الجزائرية بل والإسلامية.

وأصل الآن إلى خاتمة هذا البحث والتي ضمّنتها أهمّ النتائج والتوصيات.

## الخاتمة

### أولا: النتائج

ألخصها فيما يلي:

–المقصود بالبعد الاستشرافي هو: "ذلك الملمح في التعامل مع قضية أو عدة قضايا، من خلال استقراء مختلف الاحتمالات المستقبلية، وتخيّر أحد تلك الاحتمالات، ما يتّفق مع رؤية المُستشرِف، والمُستشرَف له".

–استشراف المستقبل في مفهومه الواسع هدف مركوز في فطرة الإنسان، ويهدف إلى الإسهام في تطوير الذات، وبناء المجتمعات وصناعة الحضارة، بعيدا عن أخطاء الماضي وإخفاقات الحاضر.

–إن المرحلة التاريخية التي تأسست فيها جمعية العلماء المسلمين وهي سنة 1931م كانت تفرض تحديات خطيرة بالنظر إلى أنّ الشعب الجزائري كان يرزح تحت نير استعمار غاشم.

(1) مجالس التذكير، ص104.

من تجليات البعد الاستشرافي في الدرس الحديثي لدى الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس:

- انتقاء الأحاديث النبوية الشريفة.
- الحثّ على الاتباع دون الابتداع.
- نبذ الشعوذة والخرافات.
- تعليم المرأة.
- ربط الأحاديث الشريفة بالواقع المعيش.
- تناول البعد الإصلاحي للأحاديث الشريفة.

**ثانيا: التوصيات**

- الاستفادة من منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في تدريس الحديث النبوي في مختلف الأطوار التعليمية.
- عقد ملتقى وطني حول الاستشراف في فكر الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس.

## فهرس المصادر والمراجع

مرتّبة على حروف المعجم لأسماء الكتب


*القرآن الكريم.

**أ- الكتب المطبوعة:**

1. استشراف المستقبل وصناعته، أحمد ذوقان الهنداوي وآخران، دبي، قنديل للطباعة والنشر، ط1، 2017م.
2. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله (ت1435هـ)، الجزائر، دار البصائر، 2007م.
3. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

4. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

5. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخران، ط2، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395 هـ- 1975م.

6. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1407 هـ- 1987م.

7. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

8. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

9. علم استشراف المستقبل، منال أحمد البارودي، القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، 2019م.

10. العين (كتاب)، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

11. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ-2005 م.

12. لسان العرب، محمد بن مكرم، ابن منظور (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

13. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد بن باديس (ت1358 هـ-1940م)، تقديم: عبد الرحمن شيبان، قسنطينة-الجزائر، دار البعث، ط1، 1403هـ-1983م.

14. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.

15. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.

16. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير (ت606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ-1979م.

**ج-المواقع الإلكترونية:**

https://pgsr.mans.edu.eg/about-musg/current-news/foresight-for-emerging-technologies

ln.run/DwU8P

ln.run/DwU8P